

روح المعاني

قولهم ساحر وجعل بعضهم مسحورا بمعنى ساحرا كمستور بمعنى سائر وعن أبي عبيدة أن مسحورا بمعنى جعل له سحرا وإذا سحر أي رثه ومن هذا قول امرئ القيس : أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وأراد نغذي وقول لبيد أو أمية بن أبي الصلت : فإن تسألينا فيما نحن فإننا عصافير من هذا الأنعام المسحر وكنوا بذلك عن كونه بشرا يتنفس ويأكل ويشرب لا يمتاز عنهم بشيء يقتضى اتباعه على زعمهم الفاسد ولا يخفى ما فيه من البعد حتى قال ابن قتيبة : لا أدري ما الذي حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المستكره مع أن السلف فسروه بالوجه الواضحة وقال ابن عطية : إنه لا يناسب قوله تعالى : أنظر كيف ضربوا لك الأمثال أي مثلوك فقالوا تارة شاعر وتارة مجنون مع علمهم بخلافه فظلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا 84 طريقا ما إلى طعن يمكن أن يقبله أحد فيتهافتون ويخطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه من سمعه أو إلى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول ما لا يخفى .

وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا عطف على ضربوا ولما عجب من ضربهم الأمثال عطف عليه أمرا آخر يعجب منه أيضا وفي الكشف الأظهر أن يكون هذا إلى تمام المقالات الثلاث تفسيرا لضربوا لك الأمثال ألا ترى إلى قوله تعالى : واضرب لهم مثلا وتفسيره بمثلوك غير ظاهر بل الظاهر مثلوا لك ولا خفاء أن تجاوب الكلام على ما ذكرنا أتم وذلك أنه لما ذكر استهزاءهم به وبالقرآن عجبه من استهزائهم بمضمونه من البعث دلالة على أنه أدخل في التعجب لأن العقل أيضا يدل عليه ولكن على سبيل الإجمال وأما على تفسير ضربوا لك الأمثال بمثلوك فوجهه أن يكون معطوفا على قوله سبحانه فضلوا لأنه باب من أبواب الضلال أو على مقدر دل عليه كيف ضربوا لأن معناه مثلوك وقالوا شاعر ساحر مجنون وقالوا : أإذا كنا الخ هـ .

ولا يخفى أنه على التفسير الذي اختاره يكون قالوا معطوفا على ضربوا أي عطفا تفسيريا لكن الظاهر فيه حينئذ الفاء وأنه لا يحتاج على ما ذكرنا إلى تكلف العطف على مقدر والارتباط عليه لا يقصر عن الارتباط الذي ذكره وعطفه على فضلوا مما لا يحسن لعدم ظهور دخوله معه في حيز الفاء والاعتراض على التفسير بمثلوك بأنهم ما مثلوه E بالشاعر والساحر مثلا بل قالوا تارة كذا وأخرى كذا وأيضا كان الظاهر أن يقال فيك بدل لك ليس بشيء لأن ما ذكره على طريق التشبيه لتقريبه وعجزهم عن معارضته و لك أظهر من فيك لأنه E الممثل له هذا وأقول : أنظر هل ثم مانع من عطف قالوا على يقول الظالمون وجعل هذا القول مما يتناجون به أيضا وإعلانهم به أحيانا لا يمنع من هذا الجعل وكذا اختلاف المتعاطفين ماضوية

ومضارعية لا يمنع من العطف نعم يحتاج إلى نكتة ولا أظنها تخفى فتدبر .
والرفات ما تكسر وبلى من كل شيء وكثر بناء فعال في كل ما تحطم وتفرق كدقاق وفتات .
وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد أنه التراب وهو قول الفراء وأخرج ابن المنذر وغيره
عن ابن عباس